

التوافق الزوجي واستقرار الأسرة

(من منظور إسلامي، نفسي، اجتماعي)

مقدمة:

إذا نظرنا حولنا سواء في محيط العائلة أو خارجها نجد بعض الزوجات التي يتمتع فيها الزوجان بالسعادة الزوجية ودرجة عالية من التوافق الزوجي .. كما أن هناك البعض الآخر يتمتع بدرجة متوسطة من التوافق الزوجي .. في حين يعاني البعض من سوء التوافق الزوجي، ومما لا شك فيه أن الجميع يتطلع للوصول إلى تلك السعادة .. وحتى يتحقق التوافق لأبد من توافر عدد من المقومات والمتغيرات التي يجب مراعاتها منذ الخطوة الأولى للزواج الناجح وهو الاختيار الناجح لشريك الحياة .. حتى مراحل الزواج والممر المختلفة.

وهنا يتساءل البعض ما المقصود بالتوافق الزوجي؟ ما العوامل والمتغيرات التي تؤثر في درجة التوافق الزوجي؟ ما أسس ومقومات التوافق الزوجي من منظور إسلامي؟ ما أسباب سوء التوافق الزوجي؟ وما النتائج المترتبة على ذلك؟ وما أسس اختيار شريك أو شريكة الحياة؟ وما أثر التوافق للزوجي على الأسرة وتنشئة الأبناء؟ .. وغيرها من التساؤلات التي يسعى كثير منا إلى الإجابة عنها .. وهذا ما سوف نتعرفه خلال هذا الإصدار بهدف تقديم ثقافة سيكولوجية للجميع؛ مما يحقق التثقيف الذاتي لكل من الشباب، والأزواج والآباء والمربين.

والله وراء القصد،

أ.د. سناء محمد سليمان

obeikandi.com

التوافق
الزواج
والاستقرار
الأسري

obeikandi.com

التوافق الزوجي واستقرار الأسرة (من منظور إسلامي-نفسى-اجتماعي)

تمهيد:

إن الأسرة هي البنيان الاجتماعي الأساسي في المجتمع. وعلى امتداد تاريخ البشر وباختلاف عقائدهم وأدينتهم وثقافتهم، كانت الأسر هي القاسم المشترك بين كل البشر على اختلافهم. فالزواج وتكوين الأسر هو الإطار الذي شرعه الله ليستمر النوع البشري وتتم به خلافة الله على الأرض. وأدم وحواء زوجان منذ اللحظة الأولى والقرآن الكريم يحدد ذلك في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

وقد كان النبي ﷺ يحدث على الزواج ويرغب فيه في قوله: (يا مسشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) (رواه البخاري ومسلم).

وكذلك حبيب الرسول ﷺ في الحياة الزوجية بقوله: (من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني) ومن هذا يتضح أن الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأساسية في المجتمع المسلم التي تنشأ من خلالها علاقات بين أفرادها تقوم على بر الوالدين، وصلة الرحم، والإحسان.

وفي طريق التوافق الزوجي تتعرض الأسرة لمشكلات كثيرة خلال سنوات العمر؛ هذه المشكلات أحياناً تكون اقتصادية، أو نفسية، تخص أحد الزوجين، أو أحد الأبناء مما يؤثر على الجو العام في الأسرة، وعلى علاقة الزوجين بعضهما ببعض، فإذا كانت هذه العلاقة متينة ومتوازنة ويسودها الرضا والتوافق، والتماسك فإنها تتخطى هذه المشكلات والأزمات في زمن قياسي، أما إذا كانت العلاقة ضعيفة ويسودها الاضطراب، وعدم التوازن فإنها تضع الأسرة بكاملها في مهب الريح تعصف بها كيف تشاء. لذلك يتضح أن التوافق الزوجي ركيزة أساسية في نماء الأسرة واستمراريتها؛ إذ يؤدي هذا التوافق إلى استقرار حياة بقية أفراد الأسرة واستمرار حياة الأسرة خاصة الأطفال؛ لأن غياب التوافق يؤدي إلى اضطرابات ومشكلات نفسية مختلفة لديهم مثل: مشكلات النوم عند الأطفال، اكتساب السلوك العدواني، قضم الأظافر، التبول اللاإرادي، النأناة. كما يؤدي غياب التوافق إلى حالة من القلق والاكتئاب عند الزوجين وتفكك العلاقات الأسرية وانهيارها؛ مما يؤدي إلى عدم استقرار المجتمع على اعتبار أن المجتمع هو مجموع الأسر الموجودة فيه.. لذلك لا بد أن يكون هذا التوافق موضع اهتمام ودراسة من قبل الزوجين سواء المقبلين منهم على الزواج، أو المتزوجين الجدد، أو حتى من مر على زواجهم عشرات السنين.

ويهتم الإسلام بشكل ملحوظ ببناء الأسرة؛ لأن الأسرة السوية هي أساس الحياة الاجتماعية السوية وهي أساس المجتمع المتكامل، وكما أن المجتمع ليس إلا مجموعة من الأسر المتفاعلة .. فإنه إذا صلحت الأسرة صلح المجتمع، والسبيل الأول لتكوين الأسرة هو نظام الزواج والذي يعد في حكم القرآن ليس وسيلة لحفظ النوع الإنساني فقط بل هو فوق ذلك وسيلة للاطمئنان النفسي والهدوء القلبي والسكن الوجداني، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، ولكي يتحقق في نطاق الأسرة ذلك السكن القلبي وهذا الهدوء الروحي، أحاط الإسلام الأسرة بسياج تربيوي يفرض حقوقاً للزوجة وحدوداً للزوج ومجالاً يسير فيه كل منهما لا يتعدى واجباته ولا يتجاوز اختصاصه؛ لتسير سفينة حياتهما سعيدة في المحيط الزواجي، بعيدة عن أعاصير الخلاف وتيارات النزاع وأنواء الشقاق.

إن الزواج هو تلك العلاقة الاجتماعية بين الرجل والمرأة التي يباركها الله لأنها الأساس الشرعي السليم لتكوين الأسرة خلية المجتمع الأولى، والتي وضع لها الضوابط والمعايير الاجتماعية المنظمة، والزواج سنة حميدة وعلاقة مهمة بين الزوجين تقوم على أساس قيم دينية واجتماعية واقتصادية، وهو عامل أساسي ينظم بقاء النوع الإنساني.

والحياة الزوجية هي علاقة مستمرة ومتصلة لها متطلبات متبادلة، تقتضى الإشباع المتزن عاطفياً وجنسياً واقتصادياً وثقافياً.

ويعد الاهتمام بدراسة التوافق الزواجي اتجاهاً عالمياً حديثاً، جاء مع ظهور التغيرات الاجتماعية التي أصبحت تركز على الجوانب النفسية وما

تتضمنه من سمات الزوجين لاحتواء مشكلات سوء التوافق الزوجي، التي بدأت تظهر في المجتمعات المعاصرة التي أخذت بأسباب التنمية والتحديث.

وأهمية دراسة موضوع التوافق الزوجي تتضح عندما يكون منخفضاً في المجتمع، فإن ذلك الانخفاض سيؤدي إلى التأثير السلبي على المجتمع من خلال عدم استقرار الأسرة فيه بمن تتضمنه من أطفال ومراهقين؛ مما ينتج عنه الكثير من المشكلات في المجتمع، من أهمها:

* الصعوبات الزوجية، فهي مؤشر لانخفاض التوافق الزوجي فينتج عن ذلك:

- الطلاق الذي يعد نهاية مطاف العلاقة الزوجية، وما يتبعه من تفكك الأسرة، وإثارة عديد من المشكلات السلوكية والاجتماعية لأفرادها (الزوج والزوجة والأبناء) على المدى القريب والبعيد.

- ظهور الأعراض والاضطرابات النفسجسمية، فالتوافق الزوجي يرتبط بهذه الأعراض سلباً، ولا يتوقف الأمر على الجوانب البهنية فقط، بل يتعداه إلى التأثير في التوافق النفسي والعلاقات الاجتماعية، لأن طبيعة الحياة الزوجية تؤثر في نوعية حياة الفرد بشكل عام، فالزوج غير المتوافق زواجياً يكون غير متوافق في العمل لومع الأصدقاء.

* يؤدي انخفاض درجة التوافق الزوجي في المجتمع إلى ارتفاع معدل الخيانة الزوجية، فمعظم الزوجات اللاتي لهن علاقات غير شرعية غير راضيات عن أزواجهن، أي إن انخفاض التوافق منبئ بالخيانة الزوجية.

* إن انخفاض درجة التوافق الزوجي إن لم يؤد إلى الطلاق فهو تربة خصبة للنزاعات والخلافات بين الزوجين، التي إن حدثت بصورة مستمرة أمام الأبناء فإنها ستؤدي إلى بذر شعور الاكتئاب والتوتر في نفوسهم، وانعدام إحساسهم بالأمن، مما يؤدي إلى عدم استقرار الأسرة وانهارها، فيتدنى المستوى الدراسي للأبناء، وقد ينخرطون في أنشطة غير سوية.

* إن الأزواج غير المتوافقين وكذلك أبنائهم، تتشوه صورتهم في عيون الأسر المحيطة، ولا سيما إذا كانت نزاعاتهم تتعدى حدودهم الشخصية، مما يؤثر سلباً على مكانتهم الاجتماعية، فتبتعد الأسر التي حولهم عنهم، وتقطع الصلات بهم.

* إن الثمار الإيجابية التي يجنيها الأزواج الذين يرتفع مستوى توافقهم تتمثل في زيادة قدرتهم على تحمل العشاق والعضوط الحياتية، ويتغلبون على الأزمات التي يواجهونها فيكونون أكثر سعادة، فيوظفون طاقاتهم وقدراتهم للقيام بالأدوار المنوطة بهم بأكثر فاعلية.

إن الزوج والزوجة هما الركن الأول من أركان الأسرة في الإسلام، نظراً لعدم تصور أسرة من دون زوج وزوجة ابتداءً، لذلك من الضروري أن يكون هناك تهديد مسبق للزوجين لتعرف متطلبات الحياة الزوجية وسبل التوافق مع كافة المتغيرات، التي قد تعترض مسيرة الحياة الزوجية والأسرية؛ فالتوافق يعد من أبرز علامات الصحة النفسية في المناخ الأسري، وهو يعنى قدرة الزوجين على تكييف نفسيهما للحياة الجديدة التي لم يعتاداها في السابق؛ أي قدرة كل منهما على تعديل سلوكه ليتناسب مع تكوين العلاقات المرضية مع شريك الحياة.

إن الزواج هو العلاقة الوحيدة الدائمة بين الرجل والمرأة التي يباركها الله تعالى ويقرّها المجتمع ويضع الضوابط والمعايير الاجتماعية المنظمة لها، ومن ثمّ فيكون التوافق الزوجي الذي لا يبد أن يجعل الزوجين يجدان في العلاقة الزوجية ما يشبع حاجاتهما الجسمية والعاطفية والاجتماعية، مما ينتج عنه حالة الرضا عن الزواج وهو ما نسميه (الرضا الزوجي) والذي يستخدم أحياناً كبديل لمصطلح «التوافق الزوجي».

كما أن هناك عديداً من المؤشرات التي تدل على الارتباط بين عدم التوافق الزوجي وبين الأشكال المختلفة لعلم النفس المرضي للبالغين، مثل إدمان الكحول والاكئاب. وظهر موضوع إيجابية الطلاق مقابل الضرر الذي يصيب الأطفال والبالغين بسبب التعرض الطويل للخلافات. إضافة إلى أن الأزواج أصبحوا يطلبون المساعدة في عيادات الصحة النفسية للمشكلات الزوجية أكثر من المشكلات الأخرى، ويشير حوالي ٤٠٪ من كل المراجعين في عيادات الصحة النفسية إلى أن المشكلات الزوجية جزء من معاناتهم.

إن كثيراً من علماء النفس والاجتماع يتفقون على أن التوافق الزوجي يميل إلى التغيير خلال دورة الحياة، فالزواج في مرحلته الأولى يتضمن الحماسة والرغبة في إيجاد مكان في المجتمع، ويعتمد على نوع من الجاذبية، وهناك تسامح أكثر منه قبول وتكيف واعيين، بينما تتميز المراحل المتأخرة بالمواجهة والنقاش والتفاوض فيما يتعلق بالتحكم والسلطة والقوة.

هذا فيما يتعلق بطبيعة العلاقة بين الزوجين، أما من ناحية درجة التوافق الزوجي فقد وجد أن التوافق الزوجي ينخفض في وقت مبكر من

الزواج، وأن وجود الأطفال والاعتراف بأن حقائق الحياة الزوجية قد اختلفت عن الصورة المثالية التي كان يجعلها الزوجان عن الزواج، إلى جانب الضغوط التي قد تظهر نتيجة عمل الزوجة خارج المنزل.. والتي قد تكون من أسباب انخفاض مستوى التوافق الزوجي.

- وسوف نحاول خلال عرضنا لموضوع التوافق الزوجي الإجابة عن عدد من التساؤلات بدءاً بمفهوم التوافق بصفة عامة، ومفهوم التوافق الزوجي بصفة خاصة.. وختاماً بأهم النتائج والتوصيات المرتبطة بهذا الموضوع الهام.

وإدعو الله أن نجد في تلك التساؤلات والإجابة عنها ما ينفع الشباب المقبلين على الزواج والمتزوجين من المراحل العمرية المختلفة؛ مما يساعدهم على الوصول إلى أعلى درجة من درجات التوافق الزوجي، وتنمية الجوانب الإيجابية في حياتهم الزوجية، وتعديل بعض الجوانب غير الإيجابية مما يحقق للأسرة استقرارها.

مفهوم التوافق الزوجي

التساؤل الأول:

ما مفهوم التوافق بصفة عامة والتوافق الزوجي بصفة خاصة؟
قبل أن نتعرف مفهوم التوافق الزوجي، نرى ضرورة تعرف مفهوم (التوافق) الذي أصبح موضوعاً لعلم النفس بكل فروعه، فعلم النفس بصفة عامة هو علم دراسة التوافق الإنساني.

أولاً: مفهوم التوافق: Adjustment

إن التوافق بمثابة حالة من الانسجام بين الفرد وبيئته، تتبدى في قدرته على إرضاء أغلب حاجاته إلى جانب تصرفه تصرفاً مرضياً إزاء مطالب البيئة، سواء كانت هذه المطالب مادية أو اجتماعية.

ويعرف التوافق أيضاً على أنه سلسلة من الخطوات تبدأ عندما يشعر الفرد بحاجة ما تلح في الإشباع أو دافع يسعى للإرضاء، وينتهي عندما تشبع هذه الحاجة ويرضى الدافع.

والتوافق: لفظ يشير إلى تكيف المرء نفسه وفقاً للبيئة بصورة تضمن له تحقيق احتياجاته ومطالبه بشكل مقبول، وبشكل التوافق توازناً ثابتاً بين الكائن وما يحيط به، وإشباعاً لحاجاته بما يحقق له الرضا عن النفس والارتياح لتخفيف التوتر الناتج عن شعوره بالحاجة.

وتعد مواقف الحياة في جميع مجالاتها مواقف تتطلب التوافق، وبناءً

على حقيقة الفروق الفردية فإنه لا أحد يضبه الآخر في توافقه النفسى تجاه أى موقف من مواقف الحياة، فالتوافق عملية شخصية ونفسية مستمرة.

ويقصد بالتوافق أيضاً: القدرة على التوافق مع النفس (توافق نفسى) ومع البيئة الاجتماعية (توافق اجتماعى)، واعتبره الباحثون عملية دينامية مستمرة تتناول السلوك والبيئة الطبيعية والاجتماعية بالتغيير والتعديل حتى يحدث توازن بين الفرد وبيئته، ويتم فيها إنجاز أعمال معينة لتحقيق أهداف، وإشباع حاجات، ومواجهة العوائق والصعوبات وتخفيف التهديدات واحتواء الأزمات والسيطرة عليها، بأساليب ترضى الفرد ويقبلها المجتمع الذى يعيش فيه.

واهتم الباحثون بدراسة سلوكيات التوافق ودوافعه وأهدافه، وما تواجهه من صعوبات، وقصمه إلى توافق حسن عندما تكون السلوكيات والأهداف التى يحققها مرضية نفسياً ومقبولة اجتماعياً، وتوافق سيء عندما تكون السلوكيات والأهداف غير مرضية نفسياً أو غير مقبولة اجتماعياً.

والتوافق هو الاصطلاح الذى يستخدمه علماء الاجتماع للتعبير عن عملية التراضى أو الصلح بين الأطراف المتنافسة أو المتصارعة سواء كانوا أفراداً أو جماعات، والتوافق يستخدم للتعبير عن التغيير الذى يحدث فى العادات والاتجاهات التى تنتقل من جيل إلى جيل. ومن هنا يمكن أن ندرك عملية التوافق الاجتماعى فى التنشئة الاجتماعية.

ولقد تعددت مجالات التوافق واتسعت فشمط: توافق شخصى، توافق اجتماعى، توافق أسرى، توافق نفسى، توافق مدرسى، توافق مهنى، توافق زواجى.

ومن منطلق الاهتمام بسيكولوجية التوافق فى الآونة الأخيرة باعتبارها

الهدف الأقصى الذي يسعى إليه الإنسان، والذي يسخر من أجله كافة سلوكياته وإمكانياته.. هذا الاهتمام أدى إلى جعل مفهوم الصحة النفسية أكثر التصاقاً وتطابقاً من مفاهيم، مثل: التوافق الكيفي المتكامل، تكامل الوظائف النفسية. فبالنسبة لمصطلح التوافق فإن البعض يرى أن الصحة النفسية هي: حالة ومستوى فاعلية، تفرد الاجتماعية، وما تؤدي إليه من إشباع لحاجات الفرد. فالفرد الأكثر توافقاً هو الفرد الأنجح في إشباع حاجاته من خلال فعالياته الاجتماعية، وهو الفرد الذي ينمتع بمستوى أعلى للصحة النفسية.

والتوافق معيار يمكن أن يقيم على أساسها الفرد، فهناك سلوك يعتبر غير متوافق أو يعبر عن سوء توافق في وسط ثقافي معين، يمكن أن يكون مقبولاً في وسط ثقافي آخر؛ فالتوافق المتكامل، إنما يتمثل للمعايير التي تلتزم بها مجموعته أو ثقافته نظراً لأن قبولها إنما يعني حصوله على مكافأة بعيدة المدى. والتوافق السوي لا يعني أن يصدر عن الفرد سلوك سابق التشكيل فقط، بل إن الشخص السوي الذي يتخذ لنفسه مثلاً معيار يحاول أن يحققها في سلوكه.

ومن نقاط الالتقاء بين الباحثين الذين تناولوا بالدراسة مفهوم التوافق:

إن التوافق ليس معناه الخلو التام من الأمراض والاضطرابات النفسية والسلوكية، وإن التوافق عملية مستمرة باستمرار الحياة لدى الفرد، ومنها أن الأفراد يتدرجون على متصل من حسن التوافق Goodadjustment إلى سوء التوافق Maladjustment.

أنواع التوافق:

التوافق الاجتماعي:

وهو العمل على توحيد وجهات النظر والآراء والأفكار في المجتمع، وتحقق حدًا أدنى من التفاهم المتبادل المشترك، فيما يتعلق بالأوضاع الاجتماعية الجديدة، فتصب السلوك الاجتماعي للأفراد والجماعات في إطار متوافق مع التغيير الاجتماعي.

التوافق الشخصي:

هو أن يكون الفرد راضياً عن نفسه، غير نافر منها أو كارِه لها، أو غير واثق فيها. كما تتسم حياته النفسية، بالخلو من التوترات والصراعات، التي تقترب بمشاعر الذنب والضيق والشعور بالنقص.

التوافق النفسي:

هو تلك العملية الديناميكية المستمرة التي يهدف بها الفرد إلى أن يغير من سلوكه، ليحدث علاقة أكثر توافقاً بينه وبين نفسه من جهة، وبينه وبين البيئة من جهة أخرى.

التوافق المهني:

ويتضمن الاختيار المناسب للمهنة والاستعداد علماً وتدريباً لها والدخول فيها، والإنجاز والكفاءة والانتاج والشعور بالرضا والنجاح.

إن هذه الأنواع تعمل بصورة متداخلة وتحقق كل واحد يؤدي إلى تحقق النوع الثاني، فالتوافق الشخصي، والنفسى بعدان من أبعاد التوافق الاجتماعي وتؤدي إليه بطبيعة الحال، وإنما حدث الفصل هنا للدراسة والتوضيح.

عوائق التوافق:

- قدرة الفرد غير الكافية للأداء بطريقة مرضية الفعاليات التي ينتظر الآخرون من الفرد القيام بها. ومن أمثلتها عدم الكفاية العقلية (انخفاض الذكاء)، عدم الكفاية الاجتماعية (نقص الصداقة وعدم القدرة على كسب الأصدقاء).

- عوائق تتعلق بتغيير الأنشطة سواء للضرورة أو للظروف الطارئة، أو لعدم التدريب والاستعداد، لاستمرار بعض الفعاليات السابقة، أو تعثر الفعاليات الجديدة.

الخطوات الرئيسية في عملية التوافق:

يعتمد التوافق على خطوات رئيسية وهي كالتالي:

- ١ - وجود دافع يدفع الإنسان إلى هدف خاص.
- ٢ - وجود عائق يمنع من الوصول إلى الهدف ويحيط إشباع الدافع.
- ٣ - قيام الإنسان بأعمال وحركات كثيرة لتغلب على العائق.
- ٤ - الوصول أخيراً إلى حل يمكن من التغلب على العائق ويؤدي إلى الوصول إلى الهدف وإشباع الدافع. غير أن عملية التوافق لا تتم دائماً بهذا النظام المذكور وهو الذي يؤدي إلى التغلب على العائق وإلى حل المشكلة. فمن المشاهد أن بعض الناس يعجزون عن حل مشكلاتهم ولا يستطيعون أن يتغلبوا على العوائق التي تعترضهم. وقد يهتم الأشخاص بتجنب هذه العوائق، ويؤدي ذلك إلى ابتعادهم عن أهدافهم الأصلية.

معايير ومظاهر التوافق الاجتماعي،

يمتاز التوافق الاجتماعي بمجموعة من المعايير والمظاهر السلوكية التي تدل على النضج الاجتماعي للإنسان.

وفيما يلي أهم تلك المظاهر السلوكية:

- الراحة النفسية، وما يترتب عليها من صحة جسمية أيضاً.

- الكفاية في العمل والإنتاج.

- وضوح مفهوم الذات، وفكرة المرء عن نفسه.

- تقبل الذات وتقبل الآخرين.

- أن تكون أهداف الفرد واقعية، ومتماشية مع أهداف الجماعة.

- القدرة على ضبط النفس، وتحمل المسؤولية.

- شعور الفرد بالمسؤولية الاجتماعية بين أفراد الجماعة الآخرين.

- وتتضح قدرة الفرد على التوافق الاجتماعي من ميله إلى مسايرة

الجماعة، وقدرته على تكوين علاقات مبنية على الثقة المتبادلة،

والإحساس بالعودة والألفة والميل إلى التفاني في كل أمر يهم الجماعة،

والقدرة على التضحية وخدمة الآخرين.

وبناء على تعريفات التوافق، يتضح أن التوافق الشخصي والنفسى هو

الأساس في كل أنواع التوافق، فهو الأساس في التوافق الاجتماعي الذي

ينبثق منه كل أنواع التوافق سواء كان التوافق الزوجي، أو التوافق

الدراسي... أو غيرها من الأنواع التي تعتمد على التفاعل بين الفرد والبيئة

المحيطة به سواء كانت الأسرة، أو المدرسة.. أو نحوها.

ثانياً مفهوم التوافق الزوجي: Marital Adjustment

يعرف التوافق الزوجي على أنه الاتفاق النسبي بين الزوجين على الموضوعات الحيوية المتعلقة بحياتهما المشتركة، والمشاركة في أعمال وأنشطة مشتركة وتبادل العواطف.

يعرف أيضاً التوافق الزوجي على أنه: «نتاج التفاعل بين شخصيتي الزوجين، ولا يوجد نمط معين من أنماط الشخصية يمكن القول بأنه نمط ناجح زواجياً أو فاشل زواجياً، ولكن التفاعل بين شخصيتي الزوجين هو الذي يحدد نجاح الزواج أو فشله».

ويعرفه البعض على أنه حالة وجدانية تشير إلى مدى تقبل العلاقة الزوجية، وتعد محصلة لطبيعة تفاعلات المتبادلة بين الزوجين في جوانب متنوعة، منها: التعبير عن المشاعر الوجدانية للطرف الآخر، واحترامه هو وأسرته، وثقة فيه، ومقدار التشابه أو التقارب في القيم والأفكار والعادات، ومدى الاتفاق حول أساليب تنشئة الأطفال، وأوجه الاتفاق على ميزانية الأسرة، بالإضافة إلى الشعور بالإشباع الجنسي للعلاقة.

ويعرف التوافق الزوجي بأنه: قدرة كل من الزوجين على التوائم مع الآخر ومع مطالب الزواج، وقد اعتبر علماء النفس التوافق الزوجي حالة تظهر في نألف الزوجين، وتقاربهما.

فالتوافق الزوجي يتضمن التحرر النسبي من الصراع والاتفاق النسبي بين الزوج والزوجة على الموضوعات الحيوية المتعلقة بحياتهما المشتركة،

وكذلك المشاركة في أعمال وأنشطة مشتركة وتبادل العواطف. كما أن التوافق الزوجي يتصل في الناحية العاطفية والتوافق الاقتصادي بالتوافق الثقافي، وينصل أيضاً بتقبل كل من الزوجين للاختلافات الفردية الموجودة بينهما.

والتوافق الزوجي: حالة تنشأ كدالة للصعوبات والمناعب التي

يواجهها الزوجان ومدى التعارن المشترك بينهما ومقدار رضاها عن العلاقة وحجم اتفانهما على الأدوار الأساسية المنوطة بكل منهما، وهو: محصلة المشاركة في الخبرات والاهتمامات والقيم واحترام أهداف الطرف الآخر وحاجاته ومزاجه والتعبير التلقائي عن المشاعر وتوضيح الأدوار والمسؤوليات والتعاون في صنع القرارات وحل المشكلات وتربية الأبناء والإشباع الجنسي المتبادل،. بينما يرى البعض أن التوافق الزوجي هو: حالة وجدانية تشير إلى مدى تقبل العلاقة الزوجية، ونعد محصلة لطبيعة التفاعلات المتبادلة بين الزوجين في جوانب متنوعة منها التعبير عن المشاعر الوجدانية للطرف الآخر، واحترامه هو وأسرته، والثقة فيه، وإبداء الحرص على استمرار العلاقة معه، فضلاً عن مقدار التشابه بينهما في القيم والأفكار والعادات ومدى الاتفاق حول أساليب تنشئة الأطفال وأوجه إنفاق ميزانية الأسرة، بالإضافة إلى الشعور بالإشباع الجنسي في العلاقة.

كما أنه هو قدرة كل من الزوجين على التنازح مع الآخر ومع متطلبات الزواج. وعلى هذا فإن نقيض التوافق هو: حالة التناقض والتي تبدأ بحصول انطباعات سلبية من أحد الزوجين تجاه الآخر أو من كليهما ويصدر ممارسات وتصرفات من أحدهما مخالفة لرغبة الآخر أو من

كليهما، مما يلبد سماء الحياة الزوجية بغيوم الخلاف والنزاع ويكدر صفوها بشوائب الأذى والآنزعاج.

وهناك بعض الخلط والتداخل بين مفهوم التوافق الزواجي وبعض المفاهيم الأخرى كالرضا الزواجي والسعادة الزوجية؛ حيث إن مفهوم السعادة الزوجية وثيق الصلة بمفهوم الرضا ويستخدمهما معظم الباحثين مترادفين، بالرغم من أن مفهوم الرضا أكثر دقة وشيوعاً.

مما سبق نخلص إلى أن هناك من تعامل مع الرضا والتوافق كمفاهيم مترادفة، وذلك أمر غير صحيح، ولو أردنا أن نأخذ الجانب الذي أدى إلى هذا التصور، فإنه ذلك الذي ينظر للرضا الزواجي على أنه حالة وجدانية ننتلوي على تقبل أو عدم تقبل العلاقة الزوجية، وهذا صحيح جزئياً إلا أن التوافق الزواجي أكثر عمومية من الرضا الزواجي وأن العلاقة بينهما هي علاقة العام بالخاص، فالتوافق يعنى بمضمون العلاقة الزوجية بما تحويه من سلوكيات وتفاعلات متبادلة بين الطرفين في المجالات السلوكية المتنوعة، فضلاً عن اتجاه الفرد نحو العلاقة؛ أي إنه يختص بكل من مضمون العلاقة (الجانب السلوكي)، وطبيعتها (الجانب الوجداني) هل هي ايجابية أم سلبية؟ في حين أن الرضا الزواجي يعنى فقط الجانب الوجداني في العلاقة الزوجية.

وهناك من يرى التوافق الزواجي المراد منه الصحة النفسية للحياة الزوجية، التي تعنى قدرة كل من الزوجين على تكيف نفسيهما لهذه الحياة، أي قدرة كل منهما على تغيير سلوكه، وتكوين العلاقات المرضية مع شريك الحياة، وبذلك يحدث التوافق بين الزوجين.

من خلال ما سبق نستطيع أن نخلص إلى أهم التعريفات التي تعتبر أقرب إلى معاني التوافق الزوجي، وهي على النحو التالي:

١ - التوافق الزوجي يتضمن التوفيق في الاختيار المناسب للزواج والاستعداد للحياة الزوجية والدخول فيها، والحب المتبادل بين الزوجين، والإشباع الجنسي وتحمل مسؤوليات الحياة والمقدرة على حل مشكلاتها، والاستقرار الزوجي والرضا والسعادة الزوجية على مواجهة كل المشاكل المادية والاجتماعية والصحية، والعمل على تحقيق الانسجام والمحبة المتبادلة.

٢ - حالة وجدانية، تشير إلى مدى تقبل العلاقة الزوجية، وتعد محصلة لطبيعة التفاعلات المتبادلة بين الزوجين في جوانب متنوعة، منها: التعبير عن المشاعر الوجدانية للطرف الآخر، واحترمه هو وأسرته، والثقة فيه، وإبداء الحرص على استمرار العلاقة معه، فضلاً عن مقدار التشابه بينهما في القيم والأفكار والعادات، ومدى الاتفاق حول أساليب تنشئة الأطفال، وأوجه إنفاق ميزانية الأسرة، بالإضافة إلى الشعور بالإشباع الجنسي في العلاقة.

من التعريفين السابقين يتضح أن التوافق الزوجي يتصل بالتوافق في الناحية العاطفية والتوافق الاقتصادي والتوافق الثقافي، كما يتصل بتقبل كل من الزوجين للاختلافات الفردية بينهما، الأمر الذي يؤكد على العلاقة الوثيقة والارتباطية بين التوافق الزوجي والحياة الأسرية بمختلف جوانبها، فجددنا صلة على سبيل المثال بعملية اختيار الزوج أو الزوجة، وبالعوامل الشخصية والأسرية، وحاجات واتجاهات الزوجين، والصحة النفسية لهما،

وبمدى توفر العاطفة بينهما، ودرجة كفاءة الدور الأسرى الذي يقومان به ومسارتهما لتوقعات الحياة الزوجية بينهما، وبناء على ذلك قد تكون هناك علاقة موجبة أو سالبة بين الزوجين تتحدد من خلال درجة التوافق الزوجي بينهما، ويقدر ارتفاع هذه الدرجة بقدر توفر النجاح الأسرى بين الزوجين بما يوفر مزيداً من الاستقرار في الأسرة.

وبهذا يكون التوافق الزوجي يمثل قطاعاً رئيسياً من جوانب التوافق في حياة الإنسان، فلا شك أن الزواج المنسجم أو المتسق أو المتوافق يؤسس على كثير من العوامل، من بينها المشاركة في الخبرات، وتكوين الروابط العاطفية العميقة، حيث يشعر الزوجان بالوثام والصحة، وأن كلاً منهما مرغوب فيه ومحبوب، وأن الطرف الآخر يحتاج إليه.

مظاهر التوافق الزوجي:

هناك عدة مظاهر للتوافق الزوجي، يمكن أن نوجزها فيما يلي:

- التواصل المباشر والمستمر بين الزوجين. وتقبل كل طرف للآخر، والالتزان العاطفي والانفعالي للعلاقة الزوجية. وفي غياب هذا التوافق يظهر التباعد في العلاقة بين الزوجين والاتصال هو السائد على حياة الأسرة.

- يحدث التوافق الزوجي إما بخضوع الزوجة لمطالب الزوج، أو خضوع الزوج لمطالب الزوجة، أو خضوع الزوجين لمطالب الزواج، أو بوصولهما إلى حلول وسط ترضى الطرفين، وتتفق مع معايير المجتمع وتقاليد.

- يعتبر الزوجان متوافقين زواجياً إذا كانت سلوكيات كل منهما مقبولة من الآخر، وقام بواجباته نحوه، وأشبع له حاجاته، وعمل ما يربطه به، وامتنع عن عمل ما يؤذيه، أو يفسد علاقته به أو بأسرتيهما.

- يعتبر الزوجان غير متوافقين أو سيئ التوافق معاً، إذا كانت سلوكيات كل منهما تؤذي الآخر أو تحرمه من إشباع حاجاته، أو لا تساعداهما على تحقيق أهدافهما من الزواج، أو تفسد علاقتهما الزوجية.

- يتم الحكم على التوافق الزوجي من ثلاث زوايا:

أ - زاوية الزوج: ويقصد به ما يقوم به من سلوكيات في تفاعله مع الزوجة.

ب - زاوية الزوجة: ويقصد به ما تقوم به من سلوكيات في تفاعلها مع زوجها.

ت - زاوية الزواج: ويقصد به ما ينحقق من أهدافه للزوجين والأسرة في ضوء قيم المجتمع ومعاييره الدينية والقانونية.

- التوافق الزوجي مسألة نسبية، تختلف من زوج إلى آخر بحسب نظرة كل منهما للزواج، وتفسيرهم له، ووقمهم لقدراتهم وعلاقة الزوج بزوجته وعلاقتها هي بزوجها وأهدافهما من الزواج.

أنواع التوافق الزوجي:

تندرج تحت التوافق الزوجي أنواع عديدة مكونة للمفهوم وشارحة له، وهي كما يلي:

١. التوافق النفسي،

وهو ضرورة أن يكون الزوجان متقاربين من حيث الصفات النفسية، والمزاج الداخلي. فللزواج أن يسأل عن الصفات النفسية لشريكه، مثل ضرورة أن يكون ذا طبع، ومزاج سليم، ويعيداً عن العصبية التي تجلب المشاكل.

٢. التوافق الأخلاقي،

ويعنى أن يكونا متقاربين الصفات لقوله تعالى: ﴿الْحَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْحَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦]. فالسؤال عن الخلق والدين من أهم الأمور عند الإقدام على الزواج. إن الزوجة التي تكشف أن زوجها بخيل، أو زائف العين فإنها تصاب بخيبة أمل عاطفية. أو الرجل الذي يكشف أن زوجته تكذب عليه فيما يهمله من أمرها فإنه يصاب بنحباط داخلي قد يؤدي به إلى الرغبة عنها، وإن كانت ملكة جمال، ذلك أن حسن الفعال تعطى كمال الجمال.

٣. التوافق العمري،

ويعنى أن يكون الزوجان متقاربين في العمر، والأفضل أن يكون الرجل أكبر من المرأة مما يساعده على إدارة الأسرة وممارسة القوامة الشرعية. أما أن تكون المرأة أكبر من الرجل فإنه في الغالب يفسد العلاقة الزوجية لأن الزوجة قد تنظر إلى الزوج الأصغر منها سناً على أنه غير مؤهل لأن يكون قيوماً عليها. وأن الرجل ينظر إلى المرأة الأكبر منه سناً على أنها قد

تتمسك عليه، وهو أمر نفسى يساهم بشكل كبير فى نجاح المعاشرة الزوجية، أو فشلها. ولعله يتطلب درجة عالية من التوافق النفسى والشخصى مبدئياً، لأن هناك كثيراً من حالات الزواج الذى تكون فيه الزوجة أكبر من الزوج وتكون حالات زواج ناجحة، وأكبر مثال لذلك زواج الرسول ﷺ من السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام.

٤. التوافق الشان (الاجتماعى والمالى والفكرى).

وهو التقارب فى الشان الاجتماعى والمالى والفكرى.. مثلاً لو تزوج رجل فقير من امرأة ثرية، تعودت نظاماً أسرياً معيناً، وطريقة مختلفة عن طريقته. فما النتيجة؟ وإذا تزوج رجلاً مثقفاً يهتم بالفكر، ويبحث عن النجاح من امرأة كسولة ولا طموح لها فى الحياة غير النوم ومشاهدة الفضائيات؟ قد يستطيع أحد الزوجين أن ينهض بالآخر؛ فيأخذ المثقف بيد زوجته على خطى الثقافة والفكر، ويحاول أن يجعلها معه فى اهتماماته. غير أن ذلك من القلة الذين يقدرون على ذلك.

ومما تقدم يتضح أن التوافق شرط أخلاقى ونفسى فى عقد الزواج. فماذا الذى يبحث عن زوج مشاكس، أو زوج لا يملك القرار، مراعاة لفلان أو فلانة، أو زوجة عصبية المزاج، أو كثيرة التبرم والشكوى والحوائج.

جوانب التوافق الزوجى:

إن الزواج علاقة لصيقة ومستمرة ومتصلة، ولها متطلبات متبادلة فهى تقتضى الإشباع المشترك انفعالياً، وجنسياً، واقتصادياً، واجتماعياً وصولاً للتوافق الزوجى الذى تتعدد جوانبه فيما يلى:

أولاً، الجانب العاطفي في التوافق الزوجي:

من الضروري أن يكون بين الزوجين توافق عاطفي، بمعنى أن يحس كل منهما نحو الآخر بشعور الحب والمودة والتقدير والاعتبار والارتباط النفسي والعاطفي؛ كي تؤدي العلاقات الزوجية والأسرية دورها في حياتهما المشتركة، فوجود قدر من العلاقات العاطفية المتبادلة يسمح بتوافر الراحة والطمأنينة بين قطبي الزواج، تدفعهما نحو البذل والعطاء، وتساعدهما على تحقيق الاستقرار الأسري.

ثانياً، الجانب الجنسي في التوافق الزوجي:

يقتضى التوافق الجنسي فهماً ومعرفة وإدراكاً لمعنى الجنس ودوافعه وأهدافه وغايته دون زيادة أو نقصان في تقدير أهميته، وعادة يتطلب تحقيق التوافق تعديلاً للسلوك إذا لزم الأمر، ولا بد أن يسعى كل من الزوجين لتعرف الطريق الذي يرضى شريكه، ويعمل دوماً على أن يكون هناك مفهوم مشترك وأسلوب متناسب وتقدير لوضع كل منهما بالنسبة للآخر، وعدم إهمال الطرف الآخر.. إن كل ذلك يؤدي لصحة نفسية جيدة للزوجين وإشباع لرغباتهما الجنسية.

ثالثاً، الجانب المادي (الاقتصادي) في التوافق الزوجي:

إن الإدراك، والنفاهم والتوافق والقبول والرضا والقناعة والتواضع، أمور لا بد أن تتوافر بين أفراد الأسرة الواحدة؛ كي يصل الزوجان والأسرة إلى توافق اقتصادي أسري.. تعيش فيه الأسرة قانعة راضية تسعد بما يتوافر لها من مال، وتسعى إلى تحقيق مزيد من التوافق الاقتصادي بطريق مشروع

سليم، حتى تحقق لنفسها قدرة وطاقة اقتصادية من ناحية، وحتى تتمكن في حدود ما يتوافر لها من دخل وموارد مالية، أن تحقق إشباعاً معقولاً ومقبولاً لحاجاتها، وذلك كله على أساس من الشعور بالمسؤولية وعلى قدر كبير من الواقعية، وقدرة على تحقيق الموازنة الملمية بين المتطلبات والالتزامات المادية والمالية المتزايدة لأعباء الحياة وبين موارد الأسرة المتاحة.

رابعاً، الجانب الثقافي والاجتماعي في التوافق الزوجي:

إن كلاً من الزوجين ينتمي إلى أسرة، وكل أسرة تختلف عن الأخرى بقدر من الاختلاف، مهما كانت ظروف كل منهما ومهما تقاربت مستوياتها وتدرجها الاجتماعي، فخلفية أي من الزوجين الثقافية تؤثر في حياتهما المشتركة. ويجب أن يتوافقا ويكون التكيف بينهما على أساس من التقارب الثقافي الذي يجمع بينهما. فقد يكون أبو الزوج مثلاً مسيطراً على أمرته فيتأثر بشأنه الزوج بهذا الأسلوب، فإذا ما تزوج يود أن تمتد سيطرته على زوجته، وقد ترفضها، لأنها لم تتعودها من قبل ولم تر أمها خاضعة لسيطرة أبيها وعندئذ إما أن يعدلا اتجاههما، ويتوافقا بالحد من سيطرة الزوج من ناحية، ويتقبل معقول لجزء من هذه السيطرة من جانب الزوجة، بحيث يتقاربان ويتوافقان من هذه الناحية الثقافية. والتكيف الثقافي المنشود بين الزوجين ويكون بالتقارب والتسامح، وبالإقرار بالقيم والاتجاهات المشتركة في حياتهم، وهو من الأمور الضرورية اللازم تحقيقها في الحياة الزوجية.

ويرى أحد علماء الاجتماع، قام ببحث حول معايير التكيف الزوجي: أنه من الأهمية أن يقوم الزوجان بأعمال مشتركة توفر لهما وحدة القصد

وامتزاج الهدف، مع الانتباه إلى ضرورة تكوين ذكريات مشتركة، والعمل على تقنية وسائل التماسك والتعاون في كل مناسبة، كما يؤكد ضرورة تعاون الزوجين في حل مشكلاتهم الاقتصادية حلاً مرضياً ومقبولاً لدى الطرفين. ولابد من أن يوفر كل طرف للآخر أكبر قسط من الحرية في التعبير عن نفسه والعمل على تنمية إمكانياته الشخصية، بشرط ألا يكون في هذه الحرية أي تعارض مع الرابطة الزوجية، والحياة الأسرية.

ولقد قدم جون لوك مرتكزات الانسجام النفسى فى العلاقة الزوجية فى النتائج التالية:

- يتوقف الانسجام على نمو أوامر المحبة والتعاطف، وتزايد الاهتمامات المشتركة، وتعدد معالم النشاط المزدوج، واتخاذ مواقف متشابهة، والإيمان بقيمة مشتركة، واحترام كل فرد لشخصية الآخر.
- يستلزم الانسجام فى الزواج بالضرورة نوعاً من الانسجام مع أسرة الطرف الآخر.
- لابد للانسجام من أن يحتوى العلاقات الجنسية، وهذه لابد أن تقوم على الحب والإشباع المتبادل.
- ينبغي للانسجام بين كلا الطرفين أن يتقبل عن قناعة تامة مسؤوليات الزواج وتبعات الحياة الزوجية.
- يتوقف الانسجام على قدرة كل من الطرفين على التفاعل العاطفى والاستجابة له.
- يتصل الانسجام الزوجى اتصالاً مباشراً بالحياة الاجتماعية العامة وعدد الأصدقاء المشتركين.

العوامل المؤثرة في التوافق الزوجي:

لا شك أن التوافق أمر نسبي، غير أنه مطلوب من أجل نجاح أسرى، وسعادة زوجية، وبالتالي مجتمع سعيد وناجح. والتوافق يتأثر بعوامل عديدة والعوامل المؤثرة في التوافق في الحياة الزوجية عديدة ومتباينة من مجتمع لآخر تبعاً لتباين الثقافات والمفاهيم السائدة، وتبعاً لتقدير مكانة الأسرة في أي من المجتمعات. ففي مجتمعاتنا العربية يختلف واقع الأسرة عما هو عليه واقعها في المجتمعات الغربية فمفهوم الترابط الأسري وتعزيز مكانة الوالدين وتقدير كبار السن واستمرارية رعاية الأبناء إلى ما بعد سن الرشد، كلها عوامل تدعم مكانة الأسرة العربية وتماسكها في وجه أي من العوامل التي يمكن أن تزعزع أمنها واستقرارها.

تنقسم هذه العوامل إلى ما يلي:

عوامل داخلية: تنحصر في كل من الزوجين، وتنقسم إلى نوعين:

عوامل ما قبل الزواج: تتلخص فيما يلي:

- * السن عند الزواج.
- * الاستعداد للزواج.
- * الجدية في النظر لأهمية الأسرة، والأهداف الأسرية، ونظرتيها للمواقف والأهداف.
- * التباين في التفتحة الاجتماعية.
- * التقارب أو التباعد في المستوى الاقتصادي والثقافي والاجتماعي.
- * فترة الخطوبة وأهميتها باعتبارها فترة إعداد نفسي للزواج.

عوامل ما بعد الزواج، والتي تتلخص فيما يلي:

* اختلاف القيم لدى الزوجين .

* التباعد الفكري والثقافي والاجتماعي بين الزوجين .

* نظرة كل من الزوجين للمبادئ الرئيسية في الزواج، مثل: المشاركة، والتنازل .

* محاولة أي طرف طمس معالم وسمات شخصية الطرف الآخر .

* قدرة كل طرف على إشباع الحاجات النفسية والبيولوجية والاجتماعية والاقتصادية للطرف الآخر، مع الأخذ بعين الاعتبار طريقة هذا الإشباع .

* التوافق الزوجي يتأثر بأساليب التواصل بين الزوجين، وكفاءة كل منهما في القيام بأدواره الزوجية، وفي مساندة الزوج الآخر في القيام بمسؤولياته، ولعب أدواره عند الضرورة، فـقدرة كل من الطرفين على التواصل وحل المشكلات والخلافات التي تواجههم لها أبلغ الأثر في تحقيق التوافق؛ فقد أثبتت الدراسات أن تدريب الزوجين على حل المشكلات سجل مستوى عظيمًا من التوافق الزوجي، أكثر من الأزواج الذين يدعون التوافق، والتحكم في المشكلات دون حلها .

* مقدرة كل من الزوجين على التأقلم مع واقعه الزوجي، والتغلب على بعض عاداته وسلوكياته الخاطئة .

* ودرجة نضج شخصية كل من الرجل، والمرأة .

* الوازع الديني لدى كل منهما له أكبر الأثر في حصول التوافق الزوجي .

٢. عوامل خارجية:

- تدخل أطراف من خارج الأسرة في الحياة الأسرية للزوجين.
- النظام السياسي السائد، والمنظم للعلاقات الأسرية.
- وسائل الإعلام بجميع أنواعها المسموعة والمرئية والمقروءة.
- الصعوبات الحياتية والمعيشية والأزمات الاقتصادية للعائلة.
- العوامل الحضارية والاقتصادية والاضطراب الاجتماعي التي تعربها البلاد (مثل نموذج العراق).
- الدين والسنن الألفية في هذا الكون.
- فترات الامتحانات الدراسية بالنسبة لأفراد الأسرة.
- المستجدات التي تطرأ على الأسرة، مثل: تقاعد الزوج، مرض الزوج، سجن الزوج الانتقال من العمل أو الفصل.

وقد علق الشيخ الصغار على تلك العوامل المؤثرة على التوافق الزواجي بقوله: «الوعي الحياتي للزوجين وتوافره على مستوى من الثقافة الزوجية، يشكل عامل وقاية وحصانة من نشوب الخلافات الضارة، أو اشتدادها وتفاقمها. ومهما كانت درجة التوافق الزواجي فإن حصول شيء من الخلاف أمر محتمل ومتوقع. وخاصة عند مواجهة الأزمات والصعوبات، وهذا يأتي دور الوعي ونضج الشخصية، لمعالجة الموقف بتعقل وحكمة، بعيداً عن التشنج والانفعال. والتعاليم الدينية التي تتحدث لكل من الزوجين حول حقوق الآخر وفضله ومكانته، وتحت على احترامه وخدمته، وتحمل ما قد يصدر منه من أخطاء أو تقصير، إنما تزيد تعزيز المعانة في نفسية الطرفين، تجاه ما قد يواجهها من مشاكل في علاقتهما الزوجية.»

النظريات التي يقوم عليها الاختيار في الزواج

اختلف علماء النفس في تفسير هذا الأساس والدوافع التي تدفع الإنسان إلى اتخاذ قراره، فظهرت عدة نظريات تحاول تفسير هذه العملية الاختيارية، منها:

١. نظرية المعايير Norms theory

نفترض هذه النظرية أن الاختيار عملية إرادية تتم في ضوء المعايير التي يضعها المجتمع للزواج من حيث السن والجنس والذين والتعليم وغيرها، وهذه المعايير يتعلمها كل فرد وهو صغير مما يجعله يقبل على الزواج، وفي علمه فكرة عما يجب أن يكون عليه الاختيار. وهذه الفكرة تحدد له ما هو مقبول وما هو غير مقبول في الاختيار فيختار وفقاً لما يتناسب مع معايير مجتمعة.

٢. نظرية التجانس والتشابه،

ونعزو هذه النظرية الاختيار إلى وجود دوافع شعورية ولا شعورية، تدفع الشخص لاختيار الشريك المشابه له في السن والعقيدة والتعليم والمستوى الاجتماعي والاقتصادي.

٢. نظرية تكامل الحاجات Theory of complementary needs

يفترض أصحاب هذه النظرية وجود دوافع شعورية ولا شعورية، تدفع الشخص إلى اختيار الشريك الذي يكمل حاجاته ويشعره بالرضا، فالاختيار من وجهة نظرهم يقوم على أساس التباين في السمات والخصائص وليس التشابه فيها وعلى التكامل في الحاجات وليس التجانس فيها. فالشخص

ينجذب نحو من يجد فيه ما يكمل ما ينقصه من خصائص، فالرجل الذي يعيل إلى السيطرة مثلاً يسعى إلى اختيار زوجة تتسم بالخضوع، فكل شخص يبحث عن الشريك الذي عنده القدرة على إشباع حاجاته النفسية.

٤. نظرية التحليل النفسي؛

يفترض أصحاب هذه النظريات وجود دوافع لا شعورية تدفع إلى اختيار الزوج الشبيه بالأب أو المختلف عنه، والزوجة الشبيهة بالأم أو المختلفة عنها فقد تكون الفتاة مدفوعة إلى اختيار زوج يشبه أبها الذي أحبته، وأعجبت به وبشخصيته، وقد ترفض الفتاة كل من يتقدم لخطبتها لخوفها من أبيها وعدم رضاها عنه لأنه كان يعاقبها ويسئ إليها وإلى أمها. وقد يرفض الشاب الزواج أو يعزف عنه بسبب خوفه من أمه المتسلطة المسيطرة على أبيه، ورغبته في ألا يتكرر معه ما حدث لأبيه.

٥. نظرية القرب الكائن؛

يفترض أصحاب هذه النظرية أن الاختيار يكون بناءً على الموقف والظروف التي تجمع بين الناس، فكل شخص يختار شريكه من أناس يعرفهم عن طريق الخبرة أو الزمالة أو العمل أو المدرسة.

ومن خلال الطرح السابق، نجد أن هذه النظريات على الرغم من اختلافها في المسميات إلا أنها تتكامل فيما بينها من حيث المضمون.

وهناك عوائق تعيق حدوث التوافق بين الأفراد بصفة عامة والتوافق الزواجي على وجه الخصوص، تندرج هذه العوائق تحت أربعة أبعاد يمكن أن توجزها على النحو التالي:

١. العوائق الجسدية:

ونقصد بها نقص الذكاء أو ضعف القدرات العقلية والمهارات النفسحركية، أو خلل في نمو الشخصية، أو الصراعات النفسية، وكل ذلك يمنع حدوث التوافق. وعدم الاتزان النفسى عند أحد الزوجين قد يمنع حدوث التوافق بينهما.

٣. العوائق المادية والاقتصادية:

يعتبر نقص المال وعدم ثوافر الإمكانيات المادية عائقاً يمنع كثيراً من الناس من تحقيق أهدافهم؛ مما يمنعهم من الوصول إلى درجة من التوافق في حياتهم العامة أو الخاصة. فعندما تكون الموارد المالية لدى الزوج محدودة قد يؤدي ذلك إلى عدم التوافق الزوجي بينه وبين زوجته.

٤. العوائق الاجتماعية:

ويقصد بها القيود التي يفرضها المجتمع في عاداته وتقاليد وقوانينه لضبط السلوك وتنظيمه، ومن هذه العوائق منع الوالدين أبنائهم من إشباع بعض رغباتهم تأديباً وتربية، وكذلك المشكلات الزوجية قد تعيق التوافق الزوجي.

وعلى الرغم من أن الشخص المقيد على الزواج هو المنوط بالاختيار للشريك، ولكننا نجد بعض الأشخاص والعوامل الأخرى يشتركون بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بهذا الاختيار، وهم:

الوالدان:

ونرى ذلك عند الفتاة في الشرق، حيث لا تتزوج في أغلبية الأحيان إلا

بموافقة والدها، والولد لا يقدم على هذه الخطوة على الرغم من قدرته على تزويج نفسه إلا بعد مباركة والديه، ويظهر هذا العامل عند البنات أعلى منه عند الأولاد، حيث توجد عندهن رغبة لاختيار أزواج شبيهين بأبائهن، أما الأولاد عندهم رغبة لاختيار زوجات شبيهات بأمهاتهم اللاتي أعجبوا بشخصياتهن.

الأصدقاء:

حيث يؤثر الأصدقاء على قرارات الشباب في اختيار الشريك، فالكثير من الشباب والشابات استشاروا أصدقاءهم المقربين عند اتخاذ قرارات الاختيار وتجاوزوا مع توجيهاتهم بالرفض أو القبول.

الدين:

الدين عامل يؤثر في الاختيار فيجعل المسلمة لا تتزوج إلا مسلم، والمسلم يتزوج المسلمة والكتابية ولا يتزوج غير الكتابية ونرى أيضاً الشاب أو الشابة قوى الإيمان يختار من يماثله في الإيمان والالتزام والصلاة والحجاب.. الخ، وقد قال رسول الله ﷺ (فاظفر بذات الدين تربت يداك) أخرجه البخاري ومسلم.

العادات والتقاليد:

على الرغم من أن هذا العامل قل في المجتمعات الحديثة، فإن تأثيره لا زال واضحاً عند بعض القبائل والأسر، فنجد بعضهم يشترطون النسب والمال والجاه ويتمسكون بهذه الشروط، حتى لو أثر ذلك على أبنائهم فنجد الأبناء يتزوجون أشخاصاً بضغوط من هذا العامل، ويدفعون ثمن التمسك بالعادات والتقاليد.

وسائل الإعلام:

نرى أن لوسائل الإعلام المرئية والمقروءة دوراً في الاختيار الزواجي، فالأفلام التي يشاهدونها والكتب والمجلات والصحف التي يقرأونها تساهم في تحديد الصفات التي يتمنون وجودها في الشريك، ويتأثرون بها عند اتخاذ قرار الزواج بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

أهمية التوافق الزواجي لأفراد المجتمع:

إن السعادة لا تأتي بمجرد الرغبة فيها، ولا تأتي بمجرد اعتناق مبادئها، بل لابد من العمل الجاد والالتزام الدائم المستمر بمبادئها، وذلك لئلا يتحقق في الحياة الزوجية. ولا تقطن السعادة الزوجية في البيت إلا إذا ما نوافر التوافق الزواجي بين الزوجين، فتعم السعادة وينتشر عبيرها في أرجاء منزل الأسرة. ومن هنا تكمن أهمية التوافق الزواجي فحين نتحقق السعادة من خلال راحة النفس واستقرار المفؤاد، من خلال ما يوفره كل من الزوجين للآخر من حب وتقدير واحترام متبادل وثقة ونقاء سريرة، وأن يعملوا بقواعد شرع الله من أجل أن يتوافقا ويتآلفا فتكون السعادة.

التوافق الزواجي من منظور اجتماعي، نفسي، إسلامي:

١- التوافق الزواجي من منظور اجتماعي:

يرى أنصار النظرية البنائية الوظيفية في تفسيرهم للمشكلات الزوجية بأنها نتيجة لاضطراب في نسيج العلاقات داخل البناء الأسري، وأن الاضطراب الوظيفي يحدث حين لا يتم هذا الاتساق، ويرجع أتباع هذه النظرية الصراع والتوتر في العلاقات الأسرية إلى منافسة المرأة للرجل في أدواره.

أما نظرية الدور التي تُعد من النظريات المهمة في دراسة الأسرة، فنرى أن نشأة المشكلات الزوجية تأتي من تعارض توقعات الدور لأحد الزوجين أو كليهما، وأن تغيير هذه التوقعات لتقابل توقعات الطرف الآخر يحقق الانسجام والتوافق بين الزوجين.

وبذلك تركز النظريات الاجتماعية على التفاعل والعلاقات المتبادلة بين الزوجين، وتوقعات كل منهما عن العلاقة الزوجية، وتتنظر إلى الخلاف الزوجي نتيجة للتفاعل بين الزوجين ونتيجة لعلاقة الزوج بالآخر وعلاقة الفرد بالنسق الاجتماعي ككل.

٧- التوافق الزوجي من منظور نفسي، سيكولوجي،:

يعتني التحليل النفسي بتاريخ العلاقات، ويعتبره مهماً في تفسير المشكلات الزوجية، ويمثل السلوك صراعات الزوجين اللاشعورية وأن المشكلات الزوجية تظهر نتيجة للإحباطات.

أما نظرية الصراع فتؤكد أن الرجال يسيطرون على معظم السلطات ويتحكمون في الموارد الاقتصادية ومصادر النفوذ والقوة، وغالباً ما يرغب الرجال في تحديد مشاركة المرأة في مجال الفرص الوظيفية، ويكون ذلك عن طريق تهئية البنين والبنات اجتماعياً، وتقوم عملية التهئية الاجتماعية على تدريب الذكور والإناث لأدوارهم المميزة جنسياً، وتحدد الأدوار من الناحية الاجتماعية وليس البيولوجية في المقام الأول.

ويعد الصراع وعدم التوافق الزوجي شيئاً لا بد من تفاديه عن طريق اكتشاف أسبابه.

٣. التوافق الزوجي من منظور إسلامي:

إن التوافق بين الزوجين أساس الحياة الأسرية السعيدة، غير أن ظهور الخلاف بين الزوجين أمر طبيعي، لاسيما ولكل من الزوجين في حياته الأولى، أنماطه السلوكية التي ألفها، وعاداته التي درج عليها، ومفاهيمه التي يرى الأشياء في ضوءها، ومزاجه الذي يواجه به المواقف المختلفة. فضلاً عن ثقافته وبيئته ووراثته، وما إلى ذلك من الأحوال.

ومن حرص الإسلام على بناء الأسرة على أسس متينة، تضمن لها الثبات والاستمرار والتماسك، فقد وضع نظاماً فريداً لمواجهة الخلافات وعلاجها، بعد أن اتخذ مجموعة من الإجراءات الوقائية متمثلة في الحقوق والواجبات التي أناطها بكل فرد ينتمي للأسرة، لكن الله سبحانه وتعالى يعلم طبائع البشرية؛ لأنه سبحانه خالقهم، ولهذا وضع مجموعة من الإجراءات الإرشادية لإرشاد الزوجين لاستخدامها عند مواجهة المشكلات قبل ظهورها.

ومن الأمور الوقائية لحصر الخلافات الزوجية، الاعتراف بالخطأ ومواجهته من قبل الزوجين، حيث لا بد من أن يعترف المخطئ بخطئه، ويستغفر ربه.

سَأَلَ تَعَالَى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِن رَّبِّكُمْ وَحِجَّةَ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٢٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاَسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَم يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٢٣٥) أُولَٰئِكَ جِزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ

تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين ﴿ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦].

وقال ﷺ: (كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون) [صحيح الجامع، مج ١، ١٣٧٨]، كما حذر من الانقياد للزعات الطارئة التي يمكن أن توجد الشقاق والخلاف.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٩].

قال ﷺ: (لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضى آخر) [صحيح مسلم، ج ١، ٩١].

واتخذ الإسلام مجموعة من الإجراءات العلاجية في حالة وقوع الخلافات الأسرية على النحو التالي:

- ١ - النصيح والإرشاد عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة.
- ٢ - إذا لم يفيد هذا العلاج، يقوم الزوج بهجر زوجته في المضجع.
- ٣ - إذا لم يفد الهجر يقوم الزوج بتأديبها بالإيلام الجسمي العادي عن طريق الضرب غير المبرح.

قال تعالى: ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأَحِلُّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا

استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة إن الله كان عليماً حكيماً ﴿النساء: ٢٤﴾ .

كما أرشد القرآن الزوج إلى أسلوب مواجهة نشوز الزوجة، قال تعالى: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسبوا وتيقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ [النساء: ١٢٨] .

وفي حالة تفاقم الخلاف والصراع بين الزوجين، ولم يستطيعا بجهودهما الذاتية حل المشكلات الداخلية، يوجهنا الإسلام إلى ضبط النفس حفاظاً على حق العشرة السابقة، وهنا يبدأ دور ذوى الأرحام متمثلين في أسرة الزوج والزوجة، ومن أهم واجبهم إصلاح ذات البين .

قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ [الحجرات: ١٠] .

وقال تعالى: ﴿وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً﴾ [النساء: ٣٥] .

وإن لم تستقم الحياة الزوجية، أباح الإسلام الطلاق؛ لكي يستقيم حال الإنسان، ولا يعيش في صراع دائم؛ مما يؤثر سلباً على صحته النفسية .

قال تعالى: ﴿وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعاً حكيماً﴾ [النساء: ١٣٠] .

وقال تعالى: ﴿فإنسالك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ [البقرة: ٢٢٩] .